

الحياة الاجتماعية والاقتصادية من خلال كتاب الاعتبار لأسماء بن منقذ

م. د. احمد طارق حمودي
جامعة سامراء - كلية الآثار

Abstract

Osama bin Munqadh was born in a family that inherited science, glory and good governance by virtue of which it was able to impose its control over the citadel and its adjacent arable land, natural forests or the rivers in the river basin and establish a state or state built by a savior from the beginning of the fifth century AH, 1111 AD.

The father of Osama, the second prince of this young country, and because of his keen interest in trips, and his fondness for copies of the Koran and the request for knowledge, he abdicated his younger brother. In this father Osama grew up and enjoyed the care of his father and his family. He has the meaning of masculinity, and encouraged him to rely on his fatwa and talents in the hardships ride until Hunt, and taught him how to deal with friends and how to be when meeting the enemies, Bara lived his father carries in a kind of challenge in the face of the events, problems or difficulties.

In terms of science, he was able to provide knowledge and knowledge of science, and excelled in the novel of poetry and modernity and preservation of history and the art of writing and systems, and after the library after a large number of literature, as well as the Library of poetry, and offer his success in the field of teaching and lectures as well as dealing with The sword and the spear, so he kept carrying his sword on his shoulders and riding his horse until he had time to lean on the spear, and so he lived together between the pen and the sword and the horse is ready for all the survival without the enemy has anguish and many, and does not fear the lion, even if alone.

He recorded in his book (mind) wonderful news in the style of easy counting abstainers, a description of the scenes of his life in the age of ninety years, he added news from here and there around to preaching and cross.

I see interest in his books, or his manuscripts, and search for the missing ones to benefit from in the affairs of life, and neighborhoods of heritage.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونتوب إليه ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، وأشهد أن لا اله إلا الله ، خلقنا من طين ، ولم يرض لنا أن ننسب إلا إلى هذا الدين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله الصادق الأمين ، وعلى اله وصحابه وتابعيهم الرضوان إلى يوم الدين .

ويعد :

لقد هياً جل وعلا لهذه الأمة من يجدد لها دينها ، ويسمو بها إلى مصاف الخالدين ، ووعدا بالمجددين الأفاض ، والمؤمنين الأكفاء ، الذين اصطفاهم جل وعلا لحفظ هذا الدين ، وتحقيق الهيمنة له على سائر الأديان والشرائع والعقائد والأفكار .

ولقد كان اختياري لكتاب اسامه بن منقذ الموسوم (كتاب الاعتبار) ، تجرته في الدراسة التحليلية التي تعتمد على القراءة المتأنية ، التي من خلالها يمكن إيجاد الملامح الاجتماعية والاقتصادية التي يمكن أن تستشف من هذا الكتاب الذي يعبر عن مرحلة متقدمة من الحياة الاجتماعية في القرن الخامس الهجري .

لم أجد صعوبة في استخراج بعض تلك الملامح التي أشار إليها المؤلف في كتابه ، مباشرة أو تحليل بعض النصوص ، واكتشاف مثل هذه المظاهر ، ولقد ألف كتابه من ذاكرته ، أو من مذكراته ، في أخريات حياته التي أمضاها في التدريس أو التأليف في دمشق خاصة وبرعاية الدولة ، وقد أستخدم الأسلوب الوصفي ، الرصين ، في قصصه جميعها .

أما القصص فقد جاءت بلا مقدمات ولا تورية مما يفيد الجزم بصدقه أولاً ، ويؤكد للقارئ، أن هدفه من هذا الكتاب ، تقديم العبر والعظات للقارئ وللسامع ، وليعلم الجميع بأن العمل فعلاً محفوظ ، والأجل محدود ، والرزق مكفول ، والنصر هبة الرحمن الرحيم ، ذي القوة المتين .

قدّم نفسه للقارئ حدثاً ، وشاباً، مفتول العضلات ، وعالماً بالفقه والحديث والتفسير واستاذاً بالأدب ، واللغة والنحو ، وشاعراً فارساً ، شهماً نبيلاً ملأ الدنيا وشغل الناس .

تتكون بحثي هذا من مقدمة، ومبحثين وخاتمه .

أوضحت في المقدمة سبب اختياري للموضوع، وضمنت المقدمة موجزاً لما جاء في المبحثين، وقد خصصت المبحث الأول، لحياته، فذكرت اسمه ونسبه وكنيته، وعرفت بأسرته وذكرت شيئاً مفيداً عن سيرة أبيه، وجدّه ، وبعض أخبار أسرته ، ثم ذكرت شيوخه وتلامذته وعلميته وأراء وأقوال العلماء فيه ، ثم مؤلفاته ، التي كان (كتاب الاعتبار) أحدها ، وقد ذكرت وصفاً للكتاب ، وأتبع ذلك حديثاً عن مسقط رأسه وبيئته .

وخصت المبحث الثاني لملاح الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر أسامه بن منقذ من خلال كتابه (الاعتبار) ، وقد استطعت أن استخرج مما جاء في الكتاب لألى عبرت عن كثير مما كان يحدث في ذلك القرن مما يمكن عده ذا علاقه بالمجتمع آنذاك ، ومنها :

اهتمام الناس بالزراعة واعتمادهم عليها في تحقيق الامن الغذائي ، سواء منها ما يتعلق بالحبوب أو المحاصيل الخضرية أو الفواكه ، وما أليها ، وجمع الناس إلى الاهتمام بالمحاصيل الاستراتيجية ، الاهتمام بتربية الحيوانات الاليفة والإكثار منها لتوفر المراعي ، وأهمية هذه الحيوانات في سد الحاجة المحلية ، ومن هذه الحيوانات :

الأبل والأبقار والجواميس والأغنام والخيل والبغال والحمير .

وفي بلاد الشام ، ذكر اهتمام الصفوة بالصيد ، وتحوله من مجرد متعه ، أو لهو إلى مصدر رزق رئيس ومهنته تذر الأرباح لأصحابها ، سواء منهم كمن ولع بالقنص والصيد أو من أهتم بتربية حيوانات وطيور الصيد وتدريبها على الصيد لغيرها .

وهناك إشارات إلى ما كانوا عليه في تلك المدة من الاهتمام بالمرأة والزواج والطعام وذكر أنواعاً منه ، وذكر المأتم ، وأكثر القول في الطب والأدوية ، وسخر من بعض العادات الطبية غير المنضبطة وذم كثيراً ممن حاول دس أنفه في مهنة الطب ، بلا علم و لا دراية ، ومنهم النصارى والفرس والقسوس منهم خاصة .

وفي الخاتمة أوجزت بعض ما لا بد منه للنهوض بمثل هذه الدراسات التي لا تزال مصادرها تملأ خزانات الكتب ، وكم كنت أتمنى أن تكون حملة جماعية تتبناها مراكز متخصصة في الدراسات لإحياء تراثنا ووضع ما فيه من قيم ايجابية موضع الاهتمام والرعاية في مدارسنا ، والتصدي لكثير من القيم الناقصة ، ومنع تكرارها أو ظهورها من جديد.

المبحث الأول

حياته وسيرته

أولاً: اسمه ونسبه : هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ^(١) بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم^(٢) الكناني الكلبى الشيزري^(٣).
ثانياً: كنيته : أبو الحارث وأبو المظفر^(٤) .
ثالثاً: لقبه : مؤيد الدولة، ومجد الدين^(٥) .

إذن، فهو مؤيد الدولة، مجد الدين أبو الحارث وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم الكناني الكلبى الشيزري .
ولادته : ولد في قلعة شيزر، يوم الأحد، السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م^(٦) .

رابعاً: أسرته :

١- والده :

أبو سلامة، مرشد بن علي بن مقلد، ولي إمارة شيزر بعد وفاة أميرها عز الدولة أبي المرهف، واسمه: نصر بن علي بن المقلد، مؤسس الدولة المنقذية في قلعة شيزر سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٩٨ م ، فبقيت بيده إلى ان مات سنة احدى وتسعين واربعمئة^(٧) كان أبو سلامة عالماً بالقرآن ناسخه ومنسوخه، عارفاً بأسباب النزول، عالماً بما في القرآن الكريم من مكي ومدني، وعالماً بما اشتهر من القراءات، وبما في آيه من محكم ومتشابهه، وما فيه من غريب، كان مولعاً بنسخ القرآن الكريم^(٨) .

ذكر أسامة أنّ والده قد نسخ القرآن ثلاثاً وأربعين مرة وكانت له بعدها ختمات ، منها ختمة كتبها بالذهب فكتب فيها علوم القرآن، واستعمل فيها الحبر الأحمر والأزرق، وسماها : التفسير الكبير، وكتب ختمة أخرى مذهبة^(٩) .

كانت له معرفة بالنجوم والأنواء مع ما فيه من الورع وصوم الدهر^(١٠)، أما في أوقات الراحة والدعة فكانت هوايته المفضلة هي الصيد، وقد ضم فريقه مجموعة من الهواة والمتخصصين من الأتباع والأعوان والحاشية وفيهم خبراء في تدريب البزاة والشواهين ، وطيور الصيد الأخرى، فضلاً على كلاب صيد مدربة، يشرف على إعدادها والعناية بها متخصصون^(١١) .

ولانشغاله بالقرآن الكريم، وتفرغه للصيد^(١٢)، فقد تنازل بالإمارة لأخيه الأصغر عز الدين أبي العساكر وكان شعاره : ((والله لا وليتها، ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها))^(١٣)، توفي والد أسامة سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة^(١٤) .

ذكر أسامة كثرة مصاحبه لأبيه في رحلات صيده، و وذكر أن هذه الرحلات كانت منظمة، ومرتبّة وفق خطط دقيقة يصاحبهم فيها عدد من الفرسان قد يصل إلى أربعين فارساً، فضلاً عن الحاشية والخدم والاعوان، وخبراء في رعاية الطيور المدربة، من بُزاة وشواهين وصقور، وكلاب صيد وغيرها مما تم إعداده وتدريبه على الصيد الحلال^(١٥).

أما ما يصطاده في رحلته فكان، الدراج وطيور الماء والأرانب والغزلان، وكثيراً ما كان يأمر بقتل ما يعترض موكبه من أسود ونمور وخنازير وغيرها من السباع والضواري المؤذية^(١٦).

٢- والدته:

لم يرد اسمها في كتاب الاعتبار، ولكنه عدّها من فضليات النساء وأمّهات الرجال^(١٧)، أدباً وحكمةً وشهامةً وبطولةً، سجل لها موقفاً بطولياً نبيلاً في مشاركتها لصد هجمات الباطنية الإسماعيلية وهم يشنون غارات على شيزر وضواحيها في غياب رجال الحصن، وكان من شجاعتها وهمتها ما كانت تتولاه بنفسها من توزيع السلاح على المقاتلين، تحرضهم على الثبات، والاستبسال، وتشجعهم على الصمود بوجه هؤلاء المنحرفين الفاسدين^(١٨).

٣- أخوته :

كان أسامة بن منقذ أحد أخوة أربعة هو ثانيهم، وكان محل اهتمام وعناية عمه سلطان الذي لم يكن له ولد في أول إمارته، لذلك كان معنياً بالاهتمام بتربيته وتعليمه وتدريبه وتهذيبه، فكان عند حسن الظن به^(١٩).

وأشار في (كتابه الاعتبار) إلى مقتل أخيه عز الدولة أبي الحسن علي في مدينته عسقلان شهيداً سنة ٥٤٥ هـ في شهر رمضان، اثناء حرب الإفرنج، وكان من علماء المسلمين وأولى الأحلام والنهي فيهم^(٢٠).

ومن أخوته، نجم الدولة أبي عبدالله محمد بن منقذ^(٢١)، وبهاء الدولة أبو المغيث منقذ^(٢٢) وذكر إحدى أخواته، وقد ألبستها أمه خفا وإزاراً وهيئاتها على شفا الوادي للحفاظ عليها من الاسماعيلية ولو بالموت^(٢٣).

٤- أبنائه :

ذكر منهم، مرهف بن أسامة بن منقذ، الامام العالم، مقدّم الأمراء المولود بشيزر، والذي سمع من ابيه وغيره وكان شاعراً كأبيه، وقد أسن وعمر طويلاً، وجمع من الكتب شيئاً كثيراً توفاه الله سنة ٦١٣ هـ^(٢٤).

خامساً: رحلاته :

قال ابن عساكر، قدم أسامة بن منقذ دمشق سنة ٥٣٢هـ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها مدة ثم رحل إلى الشام وسكن حماة^(٢٥)، وذكر ابن العديم تروده إلى حلب^(٢٦)، وذكر ابن الصابوني رحلته إلى بغداد والموصل ودمشق ومصر^(٢٧).

سادساً: شيوخه:

تلقى العلم على والده، وقد لازمه صغيراً، فغرس فيه حب العلم ورباه على الشجاعة ودرسه على مواجهة الصعاب، وتلقى العلم على شيوخ عصره ومنهم:

- ١- أبو عبدالله الطليطلي النحوي*^(٢٨)
- ٢- أبو جعفر الحسين توليا التركي* (ت ٥٢١هـ) الذي سكن شيزر، وانقطع إلى أمرائها، وعلم أسامة بن منقذ وغيره^(٢٩).
- ٣- علي بن سالم السنبيسي*.
- ٤- كامل بن علي بن سالم*.
- ٥- أبو عبدالله محمد بن يوسف بن المنيرة الكفرطابي*.
- ٦- أبو عبدالله محمد بن شافع بن الحسين العرار*^(٣٠).
- ٧- وسمع بمصر: أبو بكر محمد بن مخلد بن عبدالله بن مخلد التميمي الإشبيلي*.
- ٨- وسمع بميفارقين: الخطيب يحيى بن سلامة الحصفكي*.
- ٩- وسمع بحماة: أبو هاشم محمد بن أبي محمد بن محمد بن ظفر*.
- ١٠- وسمع بدمشق: أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي*.
- ١١- وروى بالإجازة عن أبي الحسن علي بن أحمد بن قُبَيْس الغساني*^(٣١).

سابعاً: تلامذته:

روى عنه ابن عساكر*، والسمعاني* وأبو المواهب بن صصرى*، والحافظ بن عبد الغني المقدسي*، والبهاء عبدالرحمن*، وعبد الكريم بن نصر الله بن أبي سراقه (ت ٦٥٩هـ)*، وشمس الدين محمد بن عبد الكافي الصقلي* (ت ٦٤٩هـ)، وروى عنه ابنه أبو الفوارس مرهف*، وعبد الصمد بن خليل بن مقلد الصائغ*^(٣٢)، ومنهم: عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني الكاتب*، وعبد السلام بن يوسف الدمشقي*، وأبو البركات محمد بن محمد بن علي القاضي*، قاضي أسيوط، والشريف أبو القاسم عبدالله بن علي الحلبي*، وغيرهم^(٣٣).

ثامناً: مكانته العلمية:

حفظ القرآن الكريم صغيراً واهتم بالحديث النبوي رواية ودراسة، وكان ثقةً ثبتاً، قرأ التاريخ فاستوعبه، وكان حافظاً له مجيداً في أخذه من مصادره الموثوقة، حفظ الشعر الجاهلي فأكثر منه، واهتم بالشعراء المسلمين، وهناك إشارات إلى حفظه الكثير منها، فقد كان يتمثل بالشعر

الجاهلي، فذكر في كتابه الاعتبار عنتر بن شداد وكان لشعره مكانة، وأورد شواهد من شعر المتنبي، وآخرين من شعراء المشرق^(٣٤).

درس النحو على الشيخ الطليطلي الكفرطابي المذكور آنفا والذي كان يُعَدُّ سيبويه زمانه، ودرس الخط العربي، وتلقى درسا في البديع حتى برع فيه، كان راوية وأديبا وشاعرا، وكان كاتبا مجيدا ومؤلفا بارعاً مكثرا من التأليف التي تدل وتؤكد موسوعيته، له ديوان شعر مطبوع في جزأين وعدد كبير في من المؤلفات مواضع متعددة^(٣٥).

درّس مادة البديع وألقى محاضرات في دمشق في المدرسة الحنفية وغيرها بعد أن تجاوز التسعين من عمره بإذنٍ من صلاح الدين الأيوبي، وقد خصص له دارا وأجرى عليه^(٣٦).

تاسعاً: أقوال وآراء العلماء فيه :

أثنى عليه عماد الدين الكاتب الأصفهاني، وقال فيه : ((أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه ... وحلو المجالسة وحالي المساجلة، ندي الندي بماء الفكاهة عالي النجم في سماء النباهة ...))^(٣٧)، وأشاد به ابن عساكر قائلاً : ((إن لأسامة يدا بيضاء في الأدب والكتابة والشعر وكان فارساً شجاعاً))^(٣٨)، وعده ياقوت الحموي من الحفاظ الأثبات وذكر اقتباس أبي شامة المقدسي من ديوانه وذكر شغف صلاح الدين بشعره وقوة نظمته قال : ((وكان صلاح الدين به شغوف وخاطره على تأمله موقوف وإلى استحسانه معروف، وقدمه على شعراء بني منقذ))^(٣٩).

كان من أكابر علماء بني منقذ، ومن شجعانهم الذين لا يبارون على حدّ تعبير ابن خلكان^(٤٠)، وذكر شهامته وشجاعته وفروسيته ابن الأثير الجزري وأشاد بقوة حافظته، فقال : (كان يحفظ أكثر من عشرين ألف بيتٍ من الشعر^(٤١))، وكان الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها^(٤٢)، وأطلق عليه الذهبي اسم أحد الأبطال ورئيس الشعراء الأعلام^(٤٣)، وكان يميل إلى العدل متحرّياً النصفة، وكان يحب والده ويقتدي به ويكثر من اطرائه^(٤٤) .

وهو عند ابن الغزي شاعرا مجيدا وكاتبا متقنا، وذكر له ديوان شعر ذكر كحالة أنه في جزأين وقال عنه صاحبه : (هو من شعراء جزيرة الجزيرة، أمير شاعر أديب^(٤٥))، أما ابن الصابوني فقال : كانت له اليد الطولى في الكتابة والنظم وهو من بيت مشهور بالشجاعة والفضل والعلم، وذكر رحلاته في طلب العلم وغيره^(٤٦).

عاشراً: مؤلفاته :

ذكر من ترجم له عددا من مؤلفاته، وأكدوا أن المطبوع لا يزال قليلا، وتبقى آثاره مخطوطة في زوايا المتحف ودور الكتب والمكتبات الخاصة، وذكر أغلبها ابن الساعي (ت ٦٧٤هـ)، وذكر بعضها آخرون ممن جاء بعده .

وأدناه بعض تلك المؤلفات بعد حذف كلمة كتاب وهي :

- ١- التأريخ البديري
- ٢- أزهار الأنهار
- ٣- البديع في صنعة الشعر
- ٤- الاعتبار
- ٥- العصا
- ٦- المواعظ الشافية
- ٧- تأريخ البلدان والقلاع
- ٨- التجائر المريحة
- ٩- ديوان شعره
- ١٠- المنازل والديار
- ١١- فضائل الصحابة
- ١٢- تشبيث الغريق
- ١٣- اختيار رسالة القشيري
- ١٤- شعراء الشام المتأخرين
- ١٥- رسالة زجر الجاحظ
- ١٦- لباب الآداب
- ١٧- مكارم الأخلاق
- ١٨- ذيل يتيمة الدهر
- ١٩- تأريخ أيامه^(٤٧)
- ٢٠- النوم والأحلام
- ٢١- القلاع والحصون
- ٢٢- أخبار النساء^(٤٨)
- ٢٣- الشيب والشباب^(٤٩).

احدى عشر: بينته :

ولد أسامة بن منقذ في قلعة شيزر أو سيجر، الحصن القريب من حماة الذي دمره زلزال سنة نيفٍ وخمسين وخمسائة، وأعاد بناءه نور الدين محمود بن زنكي^(٥٠)، وهناك من سماه (عرف الديك)^(٥١)، وهي قلعة حصينة تحيطها مياه نهر العاصي من ثلاث جهات، ونظرا لأهمية موقعها استراتيجيا، فقد حفر أهلها خندقا من الجهة الرابعة أوصلوا بواسطة الماء من أعالي نهر العاصي إلى الجهة الأخرى من النهر لتتحول القلعة إلى جزيرة تحيطها المياه من جميع جهاتها، فأتموا بذلك تحصينها ضد غزوات الأعداء، وسدوا جميع المنافذ إليها، ولم يكن الدخول إليها ممكنا إلا من أبوابها التي تربطها بالقلعة جسور وُكِّلَ بها حرس لحمايتها، ولها جسر واحد يربطها بالضفة اليمنى لنهر العاصي^(٥٢) .

ولد أسامة بن منقذ في أسرة ورثت العلم والمجد والحكم بجدارة استطاعت بواسطتها فرض سيطرتها على القلعة وما جاورها من الأراضي الصالحة للزراعة والغابات الطبيعية أو الأزوار في حوض النهر وتؤسس إمارة أو دولة بني منقذ منذ مطلع القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي وبالتحديد سنة (٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م) .

كان والد أسامة الأمير الثاني لهذه الدولة الفتية، ونظرا لاهتمامه المتميز بالرحلات، وولعه بنسخ القرآن الكريم وطلب العلم، فقد تنازل عن العرش لأخيه الأصغر^(٥٣)، وفي كنف هذا الوالد نشأ أسامة وعاش، وقد حظي برعاية أبيه وأسرته، وقد بث روح المغامرة، وأكبر عنده معنى الرجولة، وشجعه على الاعتماد على فتوته ومواهبه في ركوب المصاعب حتى هانت عنده، وعلمه كيف يتعامل مع الأصدقاء وكيف يكون عند لقاء الأعداء، فعاش بارًا بأبيه يحمل في جوانحه نوعا من التحدي في مواجهة ما يعترضه من أحداث أو مشاكل أو مصاعب^(٥٤).

أما من الناحية العلمية فقد استطاع كما تقدم الإحاطة بكثير من المعارف والعلوم، وبرع في رواية الشعر والحديث وحفظ التاريخ وأجاد فن الكتابة والنظم، واتحف بعد المكتبة بعدد كبير من المؤلفات، فضلا على ديوان الشعر، وتقدم القول بنجاحه في ميدان التدريس والمحاضرات كما أحسن التعامل مع السيف والرمح، فظل يحمل سيفه على عاتقه ممتطياً صهوة جواده حتى اضطره الزمن إلى الاتكاء على الرمح، وهكذا عاش جامعا بين القلم والسيف وزمام الفرس مستعدا لكل نزال دون أن يكون للعدو عنده مهابة وإن كثروا، ولا يخاف الأسد ولو انفرد^(٥٥).

سجل لنا في كتابه (الاعتبار) أخبارا رائعة في أسلوب عُذَّ من السهل الممتنع، وصفاً لمشاهد من حياته في مراحل عمره التي نيفت على التسعين، أضاف إليها أخباراً من هنا وهناك حولها إلى مواعظ وعبر .

قدم لنا أمثلة جميلة في بذل النفس قبل بذل المال دفاعاً عن البلاد والعباد واضعاً تلك المثل والمبادئ والأخلاق الإسلامية والقيم النبيلة موضع التطبيق العملي معلناً حسن اتكاله على الله أولاً الذي جعل النصر هبةً منه جل وعلا، ومقتنعاً أن لا حارس كالأجل، مردداً: (ضعفت القوة ووهت، وتفضت بلهنية العيش وانتهت، وكسني التعمير بين الانام، والى الخمول يوئل تُسعرُ الظلام)^(٥٦)

عاصر أسامة بن منقذ عهداً وعاش عصراً أصبحت فيه الأمة عضين: فالفاطميون في مصر والحشاشون الباطنيون، الاسماعيلية في بلاد الشام، وهم يعيئون في الارض فساداً، ودولة الأتابكة في الموصل تسعى لدخول التاريخ من أوسع أبوابه، وقد أعلنوا الجهاد الإسلامي، وعملوا بقوة لتحرير البلاد من الصليبيين الذين وجدوا في ضعف الخلافة ما يبرر غزوهم البلاد المسلمين واحتلالها^(٥٧).

وقد كان لعمام الدين زنكي ونور الدين محمود ابنه ثم كان لصالح الدين الأيوبي معهم مودة وصلات، واحترام متبادل ومودة، شجعتهم على العمل الجاد المثمر في طرد الصليبيين والإفرنج منهم خاصة، وتحرير البلاد التي سلب هؤلاء، وخربها الأعراب والبدو ومن شابههم من الصعاليك والمرزقة واللصوص الذين عاثوا في الأرض فساداً^(٥٨).

وفي هذه الحياة المضطربة والظروف القاسية كانت حياة أسامة بن منقذ مليئةً بالمفاجآت التي خرج منها أصلب عوداً وأقوى عزيمة وأشد بالأعداء نكاية، وظلت علاقاته في حالات السلم مع الجميع علاقة وُد واحترام متبادل، لا يخادع ولا يدهن ولا يغدر، عقيدته حسنة وصلاحه متزن حتى مع الأعداء، فقد عاش أحداثاً سجل أخبارها وقد حظيت هذه الأخبار باهتمام المؤرخين والعلماء والدارسين كان من أبرزها:

القضاء على الدولة الفاطمية في مصر، والانتصار الرائع الذي حققه لصالح الدين الأيوبي وجنده الأشاوس في حطين التي أعادت بيت المقدس وبلاد الشام إلى حظيرة الأمة، وبذلك شهد تحرير الكثير من بلاد الشام وفلسطين وغيرها^(٥٩).

اثني عشر: وفاته :

عاش سبعا وتسعين سنة، ومات بدمشق في شهر رمضان سنة ٥٨٤هـ - ١١٨٨م، ودفن في سفح جبل قاسيون^(٦٠)، وعدها كحالة ستا وتسعين سنة قمرية وثلاثا وتسعين سنة شمسية (ميلادية)^(٦١).

مشاركة أسامة بن منقذ في قتال الصليبيين والإكراد :

قال : (شهدت من الحروب مع الكفار والمسلمين ما لا أحصيها وسأورد من عجائب ما شاهدته ومارسته في الحروب ما يحضرني ذكره، وما النسيان بمستكر لمن طال عليه ممر الأعوام، وهو وراثة بني آدم من أبيهم عليه السلام) (٦٢).

قال : (فمن ذلك ما شاهدته من أنفة الفرسان وحملهم نفوسهم على الأخطار أننا كنا نلتقي نحن وشهاب الدين محمود بن قراجا، صاحب حماة ذلك الوقت، وكانت الحرب بيننا وبينه ما تغبّ والمواكب واقفة والطراد بين المتسركة، فجاءني رجل من أجنادنا وفرساننا المعدودين يقال له جُمعة من بني نُمير، وهو يبكي فقلت له : ((ما لك يا أبا محمود ؟ هذا وقت بكاء ؟ قال : طعنني سرهّنك بن أبي منصور، قلت : ((وإذا طعنك سرهّنك أي شيء يكون ؟ قال : ((ما يكون شيء إلا يطعنني مثل سرهّنك ! والله إن الموت أسهل عليّ من أن يطعنني لكنه استغفاني واغتالني))، فجعلت أسكته واهوّن الأمر عليه، فردّ رأس فرسه راجعا، فقلت : إلى أين يا أبا محمود ؟ قال : إلى سرهّنك، والله لأطعننه أو لأموتن دونه) (٦٣) !! .

فغاب ساعةً واشتغلت أنا بمن مقابلي، ثم وهو يضحك، فقلت : ما عملت ؟ فقال : طعنته والله، ولو لم أطعنه لفاضت روحي، فحمل عليه في جمع أصحابه قطعنه وعاد، فكان هذا الشعر عني : سرهّنك وجمعة، بقوله :

الله درك ما تظنُّ بثائر حرّان ليس عن التراثِ براقِدِ
أيقظته ورقدت عنه ولم ينم حنقاً عليه وكيف نوم الجاهد
إن تُمكن الأيام منك وعلّها يوما يُكل لك بالصّواع الزائدِ

قال : (وكان سرهّنك هذا من الفرسان المذكورين، مقدما في الأكراد إلا أنه كان شابا وجمعة رجل كهل له ميزة بالسن والتقدمية في الشجاعة) (٦٤) .

قال : (وذكرت بفعلة سرهّنك ما فعله مالك بن الحارث الأشر - رحمه الله - بأبي مسيكة الإيادي، وذلك أنه لما ارتدت العرب في أيام أبي بكر الصديق - رضوان الله عليه -، وعزم الله سبحانه له على قتالهم، جهز العساكر إلى قبائل العرب المرتدين، فكان أبو مسيكة الإيادي مع بني حنيفة وكانوا أشد العرب شوكة، وكان مالك الأشر في جيش أبي بكر - رحمه الله -، فلما توافقوا برز مالك بين الصفين وصاح : يا أبا مسيكة !! فبرز له، فقال : ويحك ! يا ابا مسيكة، بعد الإسلام وقراءة القرآن رجعت إلى الكفر ؟ فقال : إياك عني يا مالك إنهم يحرمون الخمر، ولا صبر عنها، قال : فهل لك في المبارزة ؟ قال : نعم، فالتقيا بالرماح، والتقيا بالسيوف فضربه أبو مسيكة فشق رأسه وشرت عينه، وبتلك الضربة سُمّي الأشر) (٦٥) .

فرجع وهو معتق رقبة فرسه إلى رحله، واجتمع له قومٌ من أهله، وأصدقاؤه ييكون، فقال لأحدهم : أدخل يدك في فمي : فأدخل أصبعه في فمه، فعضها مالك، فالتوى الرجل من الوجع، فقال مالك : لا بأس على صاحبكم، يقال : إذا سلمت الأضراس سلم الرأس، احشوها ((يعني الضربة)) وشدوها بعمامة، فلما حشوها سويقاً وشدوها قال : هاتوا فرسي، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أبي مسيكة، فبرز بين الصفيين وصاح : يا أبا مسيكة !! فخرج إليه مثل السهم، فضربه مالك بالسيف على كتفه فشققها إلى سرجه فقتله، ورجع مالك إلى رحله فبقي أربعين يوماً لا يستطيع الحراك، ثم أبّل، وعوفي من جرحه ذلك (٦٦) .

أول قتال حضره أسامة :

قال : (فإن نجم الدين بن ايلغازي بن أرتق - رحمه الله - كسر الإفرنج على البلاط، وذلك يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسائة، وأفناهم وقتل صاحب أنطاكيا، ((روجار)) وجميع فرسانه، فسار إليه عمي عز الدين أبو العساكر سلطان - رحمه الله -، وتخلّف والدي - رحمه الله - في حصن شيزر وقد وصاه أن يسيرني إلى حصن أفامية بمن معي بشيزر من الناس، ويستنفر الناس والعرب لنهب زرع أفامية، وكان قد هدف من العرب إلينا خلق كثير) (٦٧) .

قال : (فلما سار عمي نادى المنادي بعد يوميات من مسيره، وسرت في نفر قليل ما يلحق عشرين فارساً، ونحن على يقين أن أفامية ما فيها خيالة ومعني خلق عظيم من النهاية والبادية فلما صرنا على وادي أبو الميمون، والنهاية والعرب متفرقون في الزرع خرج علينا من الإفرنج جمع كثير، وكان قد وصلها تلك الليلة ستون فارساً وستون رجلاً فكشفونا عن الوادي، فاندفعنا بين أيديهم إلى أن وصلنا الناس الذين في الزرع ينتهبونه، فضجوا ضجة عظيمة فهان عليّ الموت لهلاك ذلك العالم معي، فرجعت على فارس في أولهم قد ألقى عنه درعه وتخفف ليجوزنا من بين أيدينا فطعنته في صدره، فطار عن سرجه ميتاً، ثم استقبلت خيلهم المتتابعة فولّوا، وأنا غرٌّ من القتال، ما حضرت قتالاً قبل ذلك اليوم، وتحتي فرس مثل الطير، ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ثم أجتئ عنهم) (٦٨) .

قال : (وفي آخرهم فارس على حصان أدهم مثل الجمل بالدرع ولأمة الحرب، وأنا خائف منه لا يكون جاذباً لي ليعود عليّ، حتى رأيته ضرب حصانه بمهمازه فلوّح بذنبه، فعلمت أنه قد أعيا فحملت عليه، طعنته فنفض الرمح من قدامه نحو من ذراع، وخرجت من السرج لخفة جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس، ثم تراجعت وجذبت رمحي وأنا أظنُّ أنني قتلتته، فجمعت أصحابي وهم سالمون) (٦٩) .

نماذج من شعره الذي يرثي به ضحايا زلزال شيزر الذي أودى بأهله وسائر بني عمه،

قال :

لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم . قلبا أجشمه صبيرا وسلوانا
فلو رأوني لقالوا مات أسعدنا . وعاش للهّم والأحزان أشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرني . عنهم فيوضح ما قالوه تبياناً
بادوا جميعا وما شادوا فواعجبا . للخطب أهلك عمّارا وعمرانا
هذي قصورهم أمست قبورهم . كذلك كانوا بها من قبل سگانا
بنو أبي وبنو عمي دمي دمهم . وإن أروني مناوأة وشنّانا^(٧٠)

وجمع أسامة في سلوكه ونهج حياته بين الجد واللهو، متحاشيا ما يمكن أن يكون محرما أو مكروها منه، وكان حبه للصيد حبا فطريا، وعادةً اكتسبها بمصاحبة أبيه وعمه ؛ لذلك قال :

ولله مني جانب لا أضيّعه . وللّه مني والبطالة جانب^(٧١)

وأنا أعتقد أن صيامه وصلاته التي ذكر التزامه بها والمحافظة عليها لا يمكن أن يخلّ بها لهوٌ فيه منفعةٌ مادية وترويح ورياضة في غير ما عبث يحقق بها فروسيته، ويديم بها قدرته على ركوب الخيل، ويذاكر في بعضها مع من معه دروسا في الكثير منها فوائد وعبر .

وقال في ضرسٍ له قلعهُ :

وصاحبٍ لا أملّ الدهر صحبته . يشقى لنفعي ويسعى لسعي مجتهدٍ
لم القه مذ تصاحبنا فحين بدا . لناظريّ افترقنا فرقة الأبد^(٧٢)

وهذه الأبيات تدل على قوة الإبداع في أسامة الشاعر . كقوة الضرب في اسامة الفارس ...

وكتب في أواخر عمره :

إذا كتبتُ فخطي جدّ مضطربٌ . كخط مرتعش الكفين مرتعدٍ
فأعجب لضعف يدي عن حملها قلماً . من بعد حطم القنا في لبّة الأسدِ
وإن مشيتُ وفي كفي العصا ثقلت . رجلي كأني أخوض الوحل في الجلدِ
فقل لمن يتمنى طول مدته . هذي عواقبُ طول العمرِ والمدد^(٧٣)

وكتب بعنوان (الأخطار لا تنقص الأعمار) قال :

أعود إلى المهمّ وأدع تعسف الليل المدلهم لوصفتِ القلوب من كدر الذنوب، وفوّضت إلى عالم الغيوب علمت أن ركوب أخطار الحروب لا يُنقص مدة الأجل المكتوب^(٧٤) .

وقال في تأملا له شأن طول العمر :

((وكنت أظن أن الزمان لا يبلى جديده ولا يهني شديده، واني إذا عدت إلى الشام وجدت به أيامي كعهدي ما غيرها الزمان بعدي، فلما عدت كذبتني وعود المطامع، وكان ذلك الظن كالسراب اللامع، اللهم غفرا، هذه جملة اعتراضية عرضت ونفثة هم أقضت ثم أنقضت))^(٧٥).
وأورد في كتابه ((الإعتبار)) شعرا لعنترة بن شداد العبسي :

إني امرؤ من خير عبس منصباً . شطري وأحمي سائري بالمنصل
وإذا الكتيبة أحجمت فتلاحظت . ألفت خيرا من مَعَمَّ مخول
إن المنية لو تُمَنَّل مُتَلَّت . مثلى إذا نزلوا بضنك المنزل
والخيلُ تَعَلَّم والفوارس أنني . فرقت جمعهم بطعنة فيصل
ودعوا نزالٍ فكننت أولَ نازلٍ . وعلامَ أركبُه إذا لن أنزلِ^(٧٦)

وفي الحديث النبوي الشريف :

أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو إسحق إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي - قراءة عليه بداره بدمشق -، والشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي القرطبي الدمشقي بها، وشمس الدين أبو عبدالله محمد بن الكافي بن علي الربيعي، قاضي حمص بطلب وبدمشق، وأبو القاسم هبة الله بن صدقه بن عبدالله بالقصر الغربي بالقاهرة، قالوا :

أخبرنا مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني قال : أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سالم بن الأغر بن علي السنبسي بثغر شيزر سنة تسع وتسعين وأربعمائة، قال : أخبرنا الشيخ أبو صالح محمد بن المهذب بن علي قال : حدثنا جدي أبو الحسين علي بن المهذب بن أبي حامد، قال : حدثنا أبو حامد بن همام، قال : حدثنا محمد بن سليم القبرسي، قال : حدثنا إبراهيم بن هدية عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ألا مَنْ بكى على ذنب في الدنيا حتى تسيل الدموع على حر وجهه حرَّم الله ديباج وجهه على جهنم)) *^(٧٧).

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية والاقتصادية

ضم كتاب الاعتبار في صفحاته ، قصصاً ، وأخباراً تاريخية ممتعة ، ضمنها وصفاً دقيقاً لما كان عليه الناس في تلك المدة التي عاشها أسامة بن منقذ ، بين أطراف المجتمع التي ضمت فضلاً على السكان الأصليين ، فسيفاء ، اختلطت ألوانها ونقوشها ، فلم تعد تعبر عن شيء بعينه ، وهذا الاختلاط أساء من حيث الأساس إلى حقيقة الشعب في مصر أو في بلاد الشام ، فهنا مدينة أو قلعة يحاصر سكانها وتضرب دورها بالمنجنيق ، وهناك زرع ينهب ، وبيوت تسرق أو تحرق ويهجر الناس ويرحلون ويقتلون ، لكن اصالة الناس ، وتمسكهم بالأرض والوطن وتعلقهم بالدين ، والتزامهم بما ألزمهم به جل وعلا ، جعلهم يتشبثون بقيمهم ومبادئهم ، حتى أصبحت مضنة الفخر والاعتزاز وفي الآتي سنوضح ما أجمله أسامة بن منقذ في كتابه (الاعتبار) :

١- مكونات الشعب (السكان):

ذكر في قصصه، أن المجتمع يضم فضلاً على السكان الأصليين، الأتراك، والمماليك، والعرب، والكرد، والإفرنج، والسودان، والاحباش، وفيهم صعاليك ولصوص، وعيارين وبدو وأعراب ، ونهاية^(٧٨) ، وعد الإفرنج لا بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في البهائم ميزة القوة والحمل (^(٧٩)) ، وذكر ما في السودان من خشونة وسكر وعريدة، وقسوة ، أما الاحباش ، فهم اشداء^(٨٠) .

وذكر بعض القوى الشعبية في مصر، وذكر منهم الريحانية والجيشية ، والإسكندرانية والفرجية أما في بلاد الشام ، فكان مع ما هو معروف في البلاد من سكان أصليين ، أفرنج وروم ، وترك وكرد وعرب ، وكثيرة من اللصوص والنهاية ، والبدو والأعراب^(٨١) .

٢- الملامح الاقتصادية :

أ. الزراعة:

أشار أسامة بن منقذ إلى ازدهار الزراعة في بلاد الشام ، وتمسك السكان بالأرض ، يعني اصرارهم على الدفاع عنها والمحافظة عليها ، لأنها المصدر الرئيسي لحياتهم وقوتهم اليومي ، ومن خلالها يستطيعون تحقيق ما يسمى بالأمن الغذائي ، إذ أن محاصيلهم الزراعية متنوعة ، بين إنتاج الحبوب ومحاصيل العلف والفاكه والخضر وغيرها مما ذكر في بلاد الشام ومصر ، من الغابات والأزوار ، والأجمات والاحراش ، ومزارع الزيتون والكروم ، وقد أصبحت

هذه الغابات حواجز تحمي المدن والقلاع ، ويقصدها الرعاة والناس للإفادة من ثمارها وحطبها وخشبها ومراعيها ، وفائدتها للجيش متميزة إذ فيها مأوى ومخبأ ومواضع للأعداء ومفاجأتهم^(٨٢) .
وتمتلى الغابات والجبال والشطوط والأنهار بثروة طبيعية من الأسماك ، والبط والإوز والأيائل والغزلان ، والأرانب والعجل والقط والحمام ، والدراج والحباري والكرابي وغيره ، مما يعد مصدراً رئيساً في طعام الناس ، وكسبهم وتجارتهم .
ويبدوا اهتمام الناس كبيراً في تربية حيوانات النقل والركوب والخيل والبغال والجمال والحمير فضلاً على الأبقار والجواميس والأغنام ، وهناك ذكر لبيع وشراء الأعلاف ومنها الشعير والتبن^(٨٣) .

ب. التجارة :

وذكر في كتابه رواج تجارة العبيد ، أو بيع وشراء الأسرى ، وقد ذكر دوره في تحرير كثير من المسلمين الذين غدر بهم الأفرنج والصليبيون ، فباعوهم بثمن بخس^(٨٤) .
ونظراً لازدهار الزراعة وكثرة المحاصيل الزراعية ووفرتها فقد امتلأت الأسواق بالحاصلات الزراعية ، والحيوانية فضلاً عن بيع وشراء الصيد ، وأدوات الصيادين من شباك وغيرها ، وامتأ السوق بالطيور المدربة وكلاب الصيد المعلمة ، وكان المتداول فيها من النقود والذهب والفضة والجواهر والدنانير^(٨٥) .

ج. أما الصناعة :

فقد كانت متعددة ومتنوعة ، ومنها صناعة الأواني والأثاث ، ومواد البناء والأبواب والسروج وما يتبعها مما لا بد منه في الحرب من لجم وحبال ، وخوذ ودروع ، وسلالم ورماح ونبال وسهام فضلاً عن السيوف ، وكان لهذه الصناعات أسواق خاصة ، في كل مدينة أو بلد^(٨٦) .

د. العمران :

عرف الناس في بلاد الشام كيف يختارون مواقع السكن ، فاتخذوا من الجزر أو شبيهاها ، ومن القمم والمنعطفات مقرات لبناء مساكنهم لحفظ النساء والذرية والأموال ، وكثيراً ما أحاطوا قراهم أو مدنهم بأسوار عالية تتخللها أبراج للمراقبة ، وحفروا حولها الخنادق ، ملأوها بالماء الذي أوصلوه من نهر ، أو أحاطوه بجدران متينة عالية وزيادة في الامن ، استفادوا من الانفاق في الحالات الاضطرارية ، أو الأبواب الخلفية السرية^(٨٧) ، والمساجد ، والكنائس ، والاديرة عامرة بأصحابها ، أما الثغور فقد أتخذ فيها اربطة لحماية الحدود وقد جهزت بكل ما يحتاجه المرابطون .

وكان الاهتمام بالمرافق الصحية ، والحمامات منها بوجه خاص متميز ، وقد عرف الناس فيها انواعاً من الصابون والادوات اللازمة للنظافة ونحوها ، ومن المظاهر الصحية في المدن اتخاذ مكان خاص لذبح الأغنام والأبقار وغيرها خارج المدينة أو القرية ، يذبح فيه الجزارون ، وذكر ما فيه من ذباب وزنابير^(٨٨)

هـ. وسائل النقل :

عرف الناس وسائل النقل البحري ، ومنها السفن وذكر من أنواعها : العشاري والزورق ، والبطسة^(٨٩) ، وذكر معرفة كثير من الجند السباحة ، وهناك إشارة إلى لجوء بعض الجند إليها في التصدي للإفرنج والايقاع بهم^(٩٠) وبصورة عامة ، فإن للخيل والبغال والحمير الدور الرئيس في النقل ، وتلك أهم وسائله ، أما نقل البريد فقد أجاد أهل الشام ومصر استعمال الحمام في نقل الرسائل من منطقة إلى أخرى ، وكان يقوم بتربية الحمام وتدريبه مختصون بارعون^(٩١) .

وحيث وجدت دواب النقل وغيرها ، وجد الطبيب البيطري أو البيطار ، الذي يعالج هذه الدواب ويتولى صناعة وتركيب ما لا بد منه من حذوة ولجام وغيرها^(٩٢) .

و. الثياب :

وذكر منها في مصر : دبيقي ، وسقلاطون^(*) ، ومسنبج ، ودمياطي ، وعمائم^(*) ، وذكر الكساء^(٩٣) .

ي. الطعام :

وهناك إشارة إلى اهتمام الناس بالمواد الغذائية التي يمكن تخزينها في البيوت أو الأهرات العامة ، ومنها : القمح والشعير والذرة ، والدقيق والسمن ، ويبدو أن الطعام عندهم متوفر في المخازن والبيوت والمزارع والحقول والغابات والبساتين فضلاً عن الثروة الحيوانية والاسماك والطيور وغيرها ، ومع ذلك فقد حكى أسامة بن منقذ إن قوماً من الأعراب كانوا لا يأكلون إلا الميتة ، ويزعمون أنهم بخير ، فلا مجذوم فيهم ولا أبرص ولا زمن ولا أعمى ، ويأكلون الرمم ، أو العظام البالية بعد دقها وخلطها بورق شجر ما ، وكانوا يحفظون كتول الذرة في اهرات خاصة ، وأضاف : (بينما يذبحون للضيف ويكرمونه^(٩٤) ، والله في خلقه شؤون) وذكر استعمال الزناد أو القداحة في الحصول على النار ، وذكر دورها في الاسترشاد بضوئها في احدى سفراته بعد أن ضلت بغاله بما عليها^(٩٥) .

وذكر اهتمام الاسرة بالطفل حديث الولادة ، وتحنيكه بالسمن والعسل ، أما سائر طعام الناس في بلاد الشام ومصر ، فكان من الحبوب وما يعمل منها خبز وحساء ، وذكر التريده والرغيف والسويق ، ويؤكل ويتداوى به ، وذكر لحوم الحيوانات الاليفة التي أحل الإسلام

أكلها ، والصيد واستثنى ما حرمه الإسلام من الحيوانات ذات الناب والمخلب أو الظفر ، وما لا تأكله الناس من الحشرات والحيوانات الصغيرة عادةً ، وذكر من أنواع الطعام المطبوخ ، والمشوي والمسلوق ، وذكر الفواكه ، ومنها الرمان والعنب والتفاح والزيتون ، وأشار إلى بعض الحلوى وسماها (الحلاوة اليابسة) (٩٦) .

الزواج :

وذكر اهتمام الآباء بتزويج بناتهم ، وقد يتطلب الأمر بالبحث عن الزوج المناسب ، ويتحمل والد الفتاة بتجهيزات بنته ، وقد يوافق العرس وإن لم يكن قد رآها طمعاً في جاه والدها أو منصبه ، وربما رضاً بخلقه وإعجاباً بدينه وشجاعته وصفاته النبيلة وغيرها ، وربما تكون حاجته إلى الزوجة وراء موافقته ، وقد تكون عند حسن ظنه بها أو كما تخيلها وقد تكون أحسن وأفضل ، وربما دون ذلك وقد يضطر الوالد إلى الاستعانة بأهل اليسار والغنى لتجهيز بناته وتزويجهم (٩٧) .

المأتم :

ومما اعتاده الناس ، البكاء والنوح على الموتى وإقامة المأتم ، ويكون حزنهم شديداً عندما يكون الموت قتلاً ، اصاب بطلاً أو شريفاً أو أحد الفرسان النبلاء ، وقد تستأجر نائحة لإثارة عواطف النساء ، وخاصة المتوفي ، وما ذكره أسامة بن منقذ ما تعرض له (قنيب) في كفرطاب بعد أن أبلى بلاءً حسناً ، فحزنت عليه أمه ، فإذا دعيت إلى مأتم ، ناحت على الميت ، ثم عادت تتوح على أبنها ، وسرعان ما در لبنها حتى بلل صدرها ، إذا ذكرته ، لما فيها من الشوق عليه والحنين ، فإذا كفت عن البكاء ، لم يعد في صدرها من اللبن شيء ، أو كأنه لم يكن في لبن (٩٨) .

الطب :

عرف الناس أنواعاً بدائية من الأدوية لعلاج الحالات المرضية ، و مما أشار إليه أسامة

بن منقذ :

- شرب البيض النيء لعلاج التهاب الغدد في الرقبة والخراج (٩٩) .
- وتداوى بعض الناس من الأدره بأكل لحم فراخ الغرغان بعد زقها بصغار الاقاعي (١٠٠) .
- وشرب مريض بداء الاستسقاء خلا وقع فيه أفعيان شفاه الله (١٠١) .
- وأضطر مريض بداء الاستسقاء لإفراغ ما في داخله من ماء بعد إجراء عملية جراحية لنفسه ، فشفاه الله (١٠٢) .
- وللخل الحامض جداً (المركز) دوراً في تنظيف المجاري البولية والمجاري الهضمية والبلعوم والمريء مما علق بها من أشياء غريبة ، ومنها الغبار (١٠٣) .

- وذكر نوعاً من الأمراض الجلدية ، وذكر منها بهق الشباب وكيف تفاعل الأطباء بشفايته عند البلوغ^(١٠٤) .
- وذكر أن الرمان يخفف الحرارة ، ويشفي من داء الصفراء^(١٠٥) .
- وذكر استخدام الكافور في علاج آلام الرأس^(١٠٦) .

الصيد :

عده أسامة بن منقذ نوعاً من اللهو المباح^(١٠٧) وهو عند آخرين متعة وهواية الأمراء والموسرين ومهنة مختص خبير ، وهي إحدى مصادر كسب الحلال في تلك المدة التي كثيراً ما امتلأت الأسواق بأنواع منه حية أو مذبوحة ، وكان بيت والد اسامة بن منقذ يضم الكثير من هذه الحيوانات والطيور ، التي صارت مألوفة عند الأسرة ، تعتمد عليها في طعامها ، وفي إطعام الضيوف والأتباع والحاشية^(١٠٨).

وللصيد وسائل ، وتشمل جوارح الطير ، من بزاة وشواهين وباشقات ، وبزاة مدرية لصيد الطيور البحرية وكلاب صيد وسلق ، وفهود مدرية ومعلمة تقوم بمطاردة الفرائس ومسكها لأصحابها، وقد أختص بعض هواة الصيد بتدريب الجوارح طيورها وحيواناتها ، وجمعها وتكثيرها، فتحولت إلى مهنة رابحة وتجارة رائجة في عموم المدن العربية ومنها بلاد الشام ومصر والعراق^(١٠٩).

ويصيد الناس : الدراج والسمان والحجل والقطا والحمام والزرزير ، والبط والإوز والكرابي وغيرها ويهتم الصيادون بمطاردة وصيد الكثير من الحيوانات البرية والبحرية ومنها حمار الوحش والغزلان والأرانب وأنواعاً من الأيائل ، وفرس النهر ووحيد القرن وغيرها ، فضلاً على السمك بأنواعه وقد تتحول عملية الصيد إلى مطاردة لبعض الحيوانات المؤذية الضارة وقتلها^(١١٠) ومنها الحيات والأسود ، والنمور والفهود والضباع وغيرها^(١١١).

وكما أهتم الهواة بتعليم وتدريب الجوارح من الطير والحيوان على الصيد وإمساك الفرائس، فقد دربو الخيل على عملية المطاردة ونجح كثير من الغلمان والمماليك ، فضلاً عن غيرهم من أمراء وموسرين في عملية الصيد ، التي كثيراً ما كانت تنتهي باستخلاص الطرائد من بين مخالبيها حية^(١١٢) .

وهناك إشارة إلى استفادة أسامة بن منقذ، ووالده ومن معهما من الأولاد والصبيان والكبار في هذه الرحلة وأمثالها من الوقت المعد للراحة في مراجعة واستذكار ما تم حفظهم للقرآن الكريم ولهذا كانت أوقات الراحة، تمثل حلقات دراسية يستمتع فيها العالم المري إلى تلامذته وهم يقرأون



القرآن فتتحول الرحلة إلى وسيلة لتنشيط وتدريب الذاكرة على الحفظ والاستذكار ، وحتى لا تتحول هذه الرياضة او الهواية إلى عبث فارغ، إنما هي قوة ونشاط، وصبر وتذكر، وتدبر وعبادة^(١١٣).

الخاتمة

عد أسامة فريد عصره في الفروسية والشهامة ، فذاً في الجهاد والقتال والشجاعة ، أديباً شاعراً ، سياسياً بارعاً ، عادلاً منصفاً حتى مع الأعداء ، عالماً موسوعياً وحافظاً متقناً للقرآن وعلومه وللحديث راوية ثقة ثبتاً ، مدرساً ومحاضراً دينياً ، حسن العقيدة هادئ السمات ، يحب الصيد والقنص كأبيه ، مولعاً بالسفر والارتحال ، فتردد كثيراً بين بلاط نور الدين محمود في دمشق والقاهرة في مصر حيث الدولة الفاطمية ، وكان له مع الجانبين علاقات حسنة ، وكان يحظى باحترام وتقدير الاتابكية في الموصل ، وله ذكريات في حصن كيفا على دجلة ، زار بيت المقدس وحج وأقام في مكة ، ثم زار النبي ﷺ ، وذكر تنقله في مدن أخرى في الشام ومصر وغيرها عُرف أسامة بالاعتدال والحنكة في السياسة ، وفي حالة الحرب ، يستخدم عقله وذكاءه وخبرته في التعامل مع الآخرين ، أفراداً وجماعات كما يستخدمه في حالة السلم ، وشعاره (نسالم من يسالمننا) وكان لا يتردد في استعمال قوته في حالات تستوجب المحافظة على كرامته وكرامة أهله المسلمين ولا مانع لديه من بذل المال معروفاً أو فداء للأسرى ، ذكر في كتابه الاعتبار : حسن علاقته مع عماد الدين زنكي وصحبته له في رحلات الصيد أو القنص ، وظلت علاقته على ما يرام مع نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي الذي استدعاه يوماً من حصن كيفا في الموصل وقد تجاوز الثمانين من عمره في حدود (٥٦٨ هـ) فأكرمه وخصص له داراً ، وكانت له علاقة طيبة واحترام متبادل مع بعض قادة الإفرنج والصليبيين ، ومنهم بوهمند ، وتكرد ، وقلك ، وهذا لا يعني مدهانتهم أو رجاء ما بأيديهم إنما هو دليل على علو شأنه وارتفاع منزلته عند الآخرين ، وقد تراه يقاتل المعتدين ، لا فرق عنده بينهم : صليبيين ، وفرنجية إسماعيلية باطنية صعاليك ، أعراب ، بدو ، لصوص وغيرهم .

كان عالماً ، بفن الكتابة عارفاً بالتأليف ، أغنى المكتبة العربية الإسلامية بالمؤلفات المفيدة ومنها كتاب الاعتبار ، الذي جمع فيه كثيراً من الأخبار والأشعار ، والآثار والقصص التي قدمها للقارئ ، وهو يصور كثيراً من ملامح الحياة السياسية والعسكرية والعلمية والاجتماعية السائدة في مصر وبلاد الشام ، وقد كانت أحداثاً عاصرها ، أو رواها من حفظه . وكثير منها احداث تعرض لها وقد صاغها بأسلوب قصصي رائع ، ذكر فيها غنى بلاد الشام بأهله الذين ما انفكوا يواجهون عدواً بعد الآخر للمحافظة على حريتهم واستقلالهم وكرامتهم ، وتحرير بلادهم ، وتحقيق الأمن والاطمئنان ذكر اهتمام الناس في بلاد الشام بالزراعة والتجارة وتربية الحيوانات الاليفة وذكر معرفته بالكثير من المعاملات التجارية وكان التعامل فيها بالذهب والفضة والدنانير والجواهر ، وكانت وسائل النقل المعروفة هي الأبل والخيل والبغال والحمير ، وتجوب بحر الروم

السنن الكبيرة والصغيرة ذكر في كتابه المصريين ، والترك والكرد والعرب والمماليك والإفرنج والسودان وغيرهم ممن لا تمنعهم حدود ولا سدود في الحركة حيث المصالح ، وذكر ما في السودان من سكر وعريدة وما في الأحباش من شدة وقسوة ، وما في الصعاليك والعيارين واللصوص من دناءة وخسة .

أما بريدهم فكان معتمداً على الحمام المدرب ، وعلى مختصين في كتابة الرسائل ونثيبتها ومتابعة حركة حمامهم ، والعناية بالرسائل .

وفي الاعتبار ما يفيد اهتمام المجتمع بالنظافة التي جعلوا مجازر الأغنام بعيداً عن البلد، للتخلص مما عُرف أدناه من الحشرات ، ومنها الزنابير والذباب .

وتحت مبدأ (روحوا القلوب تعي الذكر) ، صار الصيد والقنص أهم متعة للأمرء والموسرين وقد تحدث عنه كثيراً في قصصه ، يصف مشاهدته وأحداثه ، بأسلوب قصصي ، جميل ، وتقيد أخباره ، اهتمام الناس بتربية طيور الصيد ، والإتجار بها .

وكان اهتمام العرب بالطب متميزاً ، لا تدانيه معرفة النصارى والإفرنج ، ولا القساوسة أو رجال الدين المسيحي الذين وصفهم بالجهل والقسوة .

وللمرأة اهتمام ، يثير الدهشة ، إذ روى في قصصه مواقف رائعة لكثير من النساء ، ومنهم جدته ، وأمه وذكر الاهتمام بالأطفال واطعامهم العسل والسمن ، وأضاف أن غالب طعام الناس من إنتاجهم الزراعي وحيواناتهم الاليفة فضلاً على ما يصطاده الناس أو يشترونه من الاسواق من طيور وغزلان يأكلونه مطبوخاً ومسلوقاً ومشوياً ، وأشار إلى وجبات شائعة ، فذكر الثريدة والرغيف والسويق والحلاوة والفواكه والخضار .

أرى الاهتمام بكتبه ، أو ما يوجد من مخطوطاته ، والبحث عن المفقود منها للإفادة منها في شؤون الحياة ، وأحياء للتراث .

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

- (١) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ)، تأريخ دمشق الكبير، تحقيق، عمر غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دمشق، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ٨/٨٩، ابن الصابوني، جمال الدين أبي حامد محمد بن علي بن محمود المحمودي (ت ٦٨٠هـ)، تكملة اكمال الاكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، بلا)، ١١٢، الذهبي، شمس الدين أبي عبدالله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ)، تأريخ الإسلام ووقيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ٢٠٠٣م)، ١٢/ ٧٧٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط وجماعته، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ٢١/١٦٦.
- (٢) ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (ت ٦٦٠هـ)، بغية الطلب في تأريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، بلا)، ٣/ ١٣٥٨، ابن الصابوني، تكملة الاكمال، ١١٤.
- (٣) ياقوت، شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق، إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ٢/٥٧١، ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبدالرزاق أحمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ)، مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق، محمد كاظم، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد، (طهران، ١٤١٦)، ٤/٣٩٤.
- (٤) ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٨/٨٩، ابن الساعي، تاج الدين بن أنجب، علي بن أنجب بن عثمان بن عبدالله أبو طالب (ت ٦٧٤هـ)، الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق، أحمد شوقي، ومحمد سعيد حنشي، ط١، دار الغرب الإسلامي، (تونس، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ٢٩٦/٢٩٧.
- (٥) ياقوت، معجم الأدباء، ٢/٥٧١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/١٦٦، كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب ابن عبدالغني كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٩هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا) ٢/٢٢٥.
- (٦) ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٨/٩٩، ابن الساعي، الدر الثمين، ٢٩٦، كحالة، معجم المؤلفين، ٢/٢٢٥.
- (٧) ابن الاثير، أبو الحسن، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تح، عمر عبدالسلام التدمري، ط١، دار الكتاب العربية (بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ٩/٢٣٨.
- (٨) ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٥٧/٢١٦.
- (٩) أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، الاعتبار، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ٥٣، ١٩٩.
- (١٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ٥٦.
- (١١) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ٢٠١.

- (١٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٩٩ .
- (١٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٣٨/٩ .
- (١٤) ابن عساکر، تأريخ دمشق، ٥٣ / ٢١٩ .
- (١٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ٢٠٠-٢٠٢ .
- (١٦) أسامة بن منقذ، الاعتبار، / ٢٠٠ .
- (١٧) أسامة بن منقذ، الاعتبار ١٢٥ .
- (١٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار ٥٤، / ١٢٦/١٢٧ .
- (١٩) أسامة بن منقذ، الاعتبار ١٨
- (٢٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار / ٨٥، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ)، تأريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت ١٤٢٧هـ)، ١٩ / ١٠٥، ياقوت، معجم الأدباء، ٥٨١/٢ .
- (٢١) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٥٨٧/٢ .
- (٢٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٢٢٣
- (٢٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٢٥
- (٢٤) الكتبي، محمد بن شاکر بن عبدالرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر، صلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، تحقيق، إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٣ - ١٩٧٤)، ٤/١٢٤-١٢٥ .
- (٢٥) ابن عساکر، تأريخ دمشق، ٨٩/٨ .
- (٢٦) ابن العديم، بغية الطلب، ٣ / ١٣٥٩-١٣٦١ .
- (٢٧) ابن الصابوني، تكملة الأكمال، ٣١٢، ابن الفوطي، مجمع الآداب، ٤ / ٣٩٤ .
- * الشيخ العالم أبو عبدالله الطليطلي النحوي، رحمه الله، قال أسامة بن منقذ كان في النحو سيبويه زمانه، قرأت عليه النحو نحو من عشرة سنين وكان متولي دار العلم بطرابلس ثم انتقل مصر ومات بها. أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٢٠٨
- (٢٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٢٠٨
- * الحسين بن توليا التركي أبو جعفر سكن شيراز وانقطع الى امرائها وانه الذي علم أسامة بن منقذ وغيره مات سنة عشرين وخمسائة، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، تحقيق، عبدالفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية، (لامك، ٢٠٠٢م) ٣/١٥٢ .
- (٢٩) ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة الإيمان، المنصورة - (مصر، بلا)، ٧١٧/١٢، ابن حجر، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (بيروت، بلا) ٤/١٢٨٤، ابن تغري بردي، جمال الدين، أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، (القاهرة، ١٩٧٢)، ٥/٣٠٩ .
- * لم اجد له ترجمة.

- * كامل بن علي بن سالم بن علي أبو التمام السنبسي الهيتي الأعور وكان مقامه بشيزر يعلم بها أولاد الأمير ابي سلامة بن منقذ وكان قد تأدب بالعراق وكان له شعر جيد وقدم دمشق وكان ينسخ بالاجرة، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٢/٥٠.
- * محمد بن يوسف بن عمر الكفرطابي، يعرف بابن المنيرة نزيل شيزر، أبو عبدالله، اديب نسبته الى كفرطاب بين المعرفة وحلب في سوريا، انقطع في جامع حلب اربعين سنة يصلي بالناس، ويقرأ العلوم، له شعر صنّف كتباً منها غريب القرآن ونقد الشعر وغيرها، الزركلي، الاعلام، ١٤٩/٧.
- * لم اجد له ترجمة.
- (٣٠) ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م، ١٥٢/٣.
- * لم اجد له ترجمة.
- * يحيى بن سلامة بن الحسين، الفقيه الاديب الناظم النائر أبو الفضل الطنزي، الخطيب الشافعي له مؤلفات منها ، عمدة الاقتصاد في النحو، وله ديوان شعر وهو من شعراء الخريدة توفي سنة ٥٥١هـ، الغزي، شمس الدين، أبو المعالي، محمد بن عبدالرحمن (ت١١٦٧هـ)، ديوان الاسلام، تحقيق، سيد كروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ١٦٣/٢.
- * أبو عبدالله محمد بن ظفر الصقلي المنعوت بحجة الدين احد الادباء الفضلاء، صاحب التصانيف الممتعة منها كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع، وكتاب الينبوع في تفسير القرآن وغيرها، توفي بمدينة حماة سنة خمس وستين وخمسائة، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين ، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الأريبي (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٧١) ٣٩٧/٤.
- * عبدالملك بن زيد بن ياسين التغلبي، أبو القاسم الشافعي الدولي، خطيب دمشق، منسوب إلى الدولعية، قرية من قرى الموصل ، كان احد الفقهاء المشهورين والصلحاء الورعين، استوطن دمشق وتولى الخطابة والتدريس بجامعها، ولد سنة أربعة عشر وخمسائة توفي سنة ثمان وتسعين وخمسائة، ابن الصلاح، تقي الدين، أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن ، (ت٦٤٣هـ)، طبقات الفقهاء الشافعية، تح، محي الدين علي نجيب، ط١، دار البشائر الإسلامية (بيروت، ١٩٩٢م) ٥٧٠/٢.
- * الشيخ الامام ، الفقيه النحوي . أبو الحسن علي بن احمد بن منصور بن محمد الغساني الدمشقي المالكي ولد سنة اثنتين وأربعين واربعمئة مات يوم عرفة سنة ثلاثة وخمسين وخمسائة، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ط الحديث، ٤٣٥/١٤.
- (٣١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦٦/٢١، ابن الملقن، سراج الدين، أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (٨٠٤هـ)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق، أيمن نصر الأزهري وآخرون، وسيد، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م)، ٣٦١.
- * ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الامام الجليل حافظ الامة أبو القاسم بن عساكر... الشيخ الامام ناصر السنة وخادمها امام اهل الحديث في زمانه، ... له تاريخ الشام في ثمانين مجلدة او اكثر توفي سنة احدى وسبعين وخمسائة بدمشق، السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين

- (ت، ٧٧١هـ) طبقات الشافعية الكبرى، تح، د. محمود محمد الطناحي وآخرون، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع (لامك، ١٤١٣هـ) ٧/٢١٥-٢٢٣.
- * عبدالكريم بن محمد بن منصور بن محمد السمعاني الحافظ الكبير، الامام الشهير، احد الاعلام، من الشافعية والمحدثين أبو سعد صاحب التصانيف الكثيرة، والفوائد الغزيرة ولد سنة ست وخمسائة وله مؤلفات تاريخ مرو، الانساب وغيرها، توفي سنة اثنتين وستين وخمسائة، ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر احمد بن محمد بن عمر الاسدي الدمشقي، (ت، ٨٥١هـ) طبقات الشافعية، تح، الحافظ عبدالعليم خان، ط١ (بيروت، ١٤٠٧هـ) ٢/١٢-١٣.
- * أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن صصري ولد سنة ٥٣٧هـ، وتوفي سنة ٥٨٦هـ، كان احد عدول دمشق ومن بيت الحديث الذي رحل في طلبه إلى العراق وبلاد العجم، صنف كتاباً في فضل الصحابة وبيت المقدس وغيرها، ابن المستوفي، المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب الاربلي (ت، ٦٣٧هـ) تاريخ اربل، تح، سامي بن سيد خماس، دار الرشيد للنشر (العراق، ١٩٨٠) ٢/١٨٩.
- * عبدالغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر الحافظ الكبير تقي الدين أبو محمد المقدسي الجماعلي ثم الدمشقي، ولد سنة احدى واربعون وخمسائة توفي سنة ستمائة، صنف التصانيف المفيدة وكتب ما لا يوصف وكان غزير الحفظ من اهل الاتقان والتجويد، الصفي، صلاح الدين بن خليل اييك (٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الأرنبوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ١٩/٢١.
- * البهاء عبدالرحمن بن إبراهيم بن احمد المقدسي الشيخ الامام، العالم المفتي، المحدث، بهاء الدين... ولد في سنة خمس وخمسين وخمسائة... اجتهد في كتابه الحديث وتسميحه شرح كتابه المقنع وكتاب العمدة لشيخه موفق الدين توفي سنة اربع وعشرين وستمائة، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ط الحديث، ٢٢/٢٦٩-٢٧١.
- * عبدالكريم بن نصر الله بن محمد بن المسلم بن المعلى بن علي بن ابي سراقه أبو القاسم الهمداني الدمشقي، ولد في صفر سنة سبع وستين وخمسائة توفي سنة ٦٥٥، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/٤٣٤.
- * أبو عبدالله محمد بن عبدالكافي بن الياس بن محمود بن عبدالملك ابوه كان خازن دار الكتب ببغداد ولد يوم الخميس سنة ثلاث و ستمائة و توفي بعد سنة ٦٢٨ هـ، ابن المستوفي، تاريخ اربل، ١/٤٣٤.
- * تمت ترجمته في صفحة ٥.
- * أبو عبدالله المعروف بالعماد الكاتب الاصبهاني، ولد باصبهان، سنة تسع عشرة وخمسائة ونشأ بها وقدم بغداد شابا وانتظم في سلك طلبه المدرسة النظامية، اشتغل بضاعة الكتابة فبرع فيها ونبع، توفي يوم الاثنين سنة سبع وتسعين وخمسائة من ابرز مؤلفاته خريدة القصر وجريدة العصر، الفتح القسي في الفتح القدسي، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ٦/٢٦٢٣-٢٦٢٧.
- (٣٢) ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق، أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ١/١٦٢، ابن الملقن، العقد المذهب، ٣٦١.

- * عبد الصمد بن خليل مقلد بن جابر، أبو محمد الانصاري، الدمشقي، الصائغ المعروف بسبط جهيم ، ولد بعد الستين وخمسائة بدمشق، حدث عن الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ بشيء من شعره، توفي سنة ٦٥٥هـ، الذهبي، تاريخ الإسلام، تح، بشار عواد، ١٤/٧٨٢
- * عبدالسلام بن يوسف بن محمد بن مقلد، أبو الفتوح التوحي الجماهيري الدمشقي، الأصل البغدادي توفي بدمشق سنة ٥٨٢هـ، حدث ببغداد، والموصل، ودمشق... قدم عند الملك صلاح الدين واعطاه ذهباً وكان يترسل وينظم، حملت تركته الى اهله في العراق، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢/٧٥١.
- * أبو البركات محمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي القاضي، أبو البركات الانصاري، الموصلي الشافعي وولي القضاء بأسيوط، زيادة على عشرين سنة وبحماة مدة ثمان سنين أيام نور الدين وجمع كتاباً سماه عيون الاخبار وقرر الحكايات والاشعار وغيرها، توفي سنة ستمائة، الصفيدي، الوافي بالوفيات، ٤/١٢٣.
- * عبدالله بن علي بن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسيني، الحلبي، المعروف بابن زهرة ، أبو القاسم ، فقيه اصولي، توفي في حدود سنة ٥٨٠هـ، من اثاره، تبين الحجة، التجريد في فقه الامامية، ورسالة الحج وغيرها، كحالة، معجم المؤلفين، ٦/٨٨.
- (٣٣) ابن العديم، بغية الطلب، ٣/١٣٥٩.
- (٣٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٩.
- (٣٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٢١، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢١/١٦٦، الزركلي، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦هـ)، الاعلام، دار العلم للملايين، (بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢ م)، ١/٢٣٢.
- (٣٦) ابن العديم، بغية الطلب، ٣/١٣٥٨-١٣٦١، ابن الساعي، الدر الثمين، ٢٩٧، كحالة، معجم المؤلفين، ٢/٢٢٥.
- (٣٧) الأصفهاني، العماد الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، نشر محمد بهجت الأثري، وجميل سعيد، (بغداد، ١٩٤٤م)، ٥٩٥، ابن الصابوني، تكملة الاكمال، ١١٢ .
- (٣٨) ابن عساكر، تأريخ دمشق، ٢/٤٠٠، ٨/٩٠ .
- (٣٩) أبو شامة، أبو القاسم ، شهاب الدين بن عبدالرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت، ٦٦٥هـ) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، طبعة مصر ١٩٨٨م، ١/٢٤٧، ياقوت، معجم الأدياء ٢/٥٧٢ .
- (٤٠) ابن خلكان، ١/١٩٥، ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ)، مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق، روحية النحاس، واخرون، وريا، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١ (دمشق، ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م)، ٤/٢٥٨-٢٥٩.
- (٤١) ياقوت، معجم الأدياء، ٢/٤١٧، ابن الأثير، الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية في الموصل ، تحقيق : عبد القادر طليحان ، دار الكتب الحديثة (القاهرة بلا)، ٢/٢٠٧، الذهبي، دول الإسلام ، ٢/٧٢.
- (٤٢) ابن الأثير، الباهر، ٢/٢٠٧ .
- (٤٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، سير أعلام النبلاء، ٢١/١٦٦ .

- (٤٤) وفيات الأعيان ١/١١٢ .
- (٤٥) الغزي، ٤/٢٨٥، كحالة، معجم المؤلفين، ٢/٢٢٥ .
- (٤٦) ابن الصابوني، تكلمة الاكمال، ١١٢ .
- (٤٧) ابن الساعي، الدر الثمين، ٢٩٦-٢٩٧ .
- (٤٨) الزركي، الاعلام، ١/٢٩١ .
- (٤٩) كحالة، معجم المؤلفين، ٢/٢٢٥ .
- (٥٠) ياقوت، معجم الأدياء، ٢/٥٧٢، ابن الساعي، الدر الثمين، ٢٩٦، الذهبي، تاريخ الاسلام، ١٢/٧٧٠ .
- (٥١) أبو شامة، الروضتين، ١/١١٢ .
- (٥٢) العزيزي، الحسن بن احمد المهلبي، (ت، ٣٨٠هـ) المسالك والممالك، جمع وعلق عليه ووضع حواشيه، تيسير خلف ١/٩٤ .
- (٥٣) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٧/٢١٦ .
- (٥٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٩٢، ١٩٩ .
- (٥٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/١١٢ .
- (٥٦) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٦٤ .
- (٥٧) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٩١ .
- (٥٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٠، ١٦٤، ١٩١ .
- (٥٩) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٦ .
- (٦٠) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٢١/١٦٦، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٨/٢٤٥، الزركلي، الاعلام، ١/٢٩١ .
- (٦١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٤/٢٥٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/١٦٧، كحالة، معجم المؤلفين، ٢/٢٢٥ .
- (٦٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٦-٣٧ .
- (٦٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٦ .
- (٦٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٧ .
- (٦٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٧ .
- (٦٦) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٨ .
- (٦٧) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٤٠-٤١ .
- (٦٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٤٠، ٤١ .
- (٦٩) أسامة بن منقذ، ٤١، أبو شامة، الروضتين، ١/١٠٦ .
- (٧٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٤-١٥، أبو شامة، الروضتين، ١/١٠٦ .
- (٧١) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٩١ .
- (٧٢) الذهبي، تاريخ الاسلام، ١٢/٧٧٠، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٨/٢٨٥ .
- (٧٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٦٣-١٦٤، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١/١٩٨ .

- (٧٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٦٢.
- (٧٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٦١.
- (٧٦) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٩.
- * الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت، ١٢٥٠هـ) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة (كتاب الادب والزهد وعبادة الطب وعبادة المريض، تح، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية (بيروت، لات) ٢٥١/١، حديث موضوع (رقم الحديث، ٨٩)
- (٧٧) ابن العديم، بغية الطلب، ٣/ ١٣٦٠.
- (٧٨) أسامة بن منقذ، ٦، ٢٥، ٣٢.
- (٧٩) أسامة بن منقذ، ١٣٢.
- (٨٠) أسامة بن منقذ، ٦، ٣٢، ٣٤.
- (٨١) أسامة بن منقذ، ٦، ٧٨، ١٤٧.
- (٨٢) أسامة بن منقذ، ١٩٩، ٢٢٦.
- (٨٣) أسامة بن منقذ، ٧٣، ١٥٠.
- (٨٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٢٩.
- (٨٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٢٥، ٨٨، ٢٠٠.
- (٨٦) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٩، ٣٢، ٧٨.
- (٨٧) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٢٥.
- (٨٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٨٨، ١٠٥.
- (٨٩) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٣٤، ٣٥، ٩٠.
- (٩٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٠١.
- (٩١) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٩٩-٢٠٠.
- (٩٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ٦٦.
- * سقلاطون، نوع من نسيج الحرير المزركش بالذهب والذي ينسج منه في بغداد ذو شهرة عظيمة. دوزي رينهارت بيتران (ت ١٣٠٠هـ) تكلمة المعاجم العربية، نقله إلى العربية محمد سالم النعيمي، وزارة الثقافة والاعلام، ط١، (بغداد، ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م)، ٦/٩٦.
- * عمائم، العمامة، من لباس الرأس معروفة وربما كُني بها عن البيضة أو المفقّر والجمع عمائم. ابن منظور، لسان العرب، ط٣، دار صادر (بيروت - ١٤١٤هـ)، ١٢/٤٢٤.
- (٩٣) أسامة بن منقذ، ١١.
- (٩٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٢.
- (٩٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٣.
- (٩٦) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٧٠.
- (٩٧) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٧٩-١٨٠.

- (٩٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١١٥ .
(٩٩) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨١ .
(١٠٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨٢ .
(١٠١) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨٣ .
(١٠٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨٤ .
(١٠٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨٤ .
(١٠٤) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨٤ .
(١٠٥) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨٥ .
(١٠٦) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٨٥ .
(١٠٧) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٠٣ .
(١٠٨) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٠٣٠-١٠٤ ، ١١١-١١٢ .
(١٠٩) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٠٣٠ الاعتبار ٢١١ ، ٢١٨ .
(١١٠) أسامة بن منقذ، الاعتبار ٢١٦ ، ٢١٧ .
(١١١) أسامة بن منقذ الاعتبار، ١١٠ ، ٢٠٧ .
(١١٢) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٩٢ ، ١٩٣ .
(١١٣) أسامة بن منقذ، الاعتبار، ١٩٩ .